

في الأدب النضالي

بقلم حني سيدليب

الآخرون ، الا تفكرون بان معرفتهم لقضيتكم تفيدكم في كسب العدالة فيها ، انكم تكتسبون لشعبكم فقط ، وشعبكم يعيش المأساة التي تعيشون ، ويعرفها كما تعرفونها انتم ، فهو ليس في حاجة الى ان تظلوا تردونها على اسماعه بالشعر تارة ، وبالنثر تارة أخرى . الا ترون انكم تضيعون جهودكم عبثا بينما تظل قضاياكم بعيدة عن اسماع العالم وعن وعي شعوبه ؟ (٤) .

وهناك نقطة اساسية وهامة ، وهي ماهية الادب العربي النضالي .. كيف يكون ؟ وماذا يكتب ؟ . والحديث هنا واسسع ومتعدد ، ومن الممكن للكاتب ان يتبنى أكثر من وجهة نظر في ان واحد . ليس هذا عن بلبله فكرية او تيه ثقافي ، وانما لان نضالنا له أكثر من وجه ، وشخصيتنا النضالية ذات سمات متباينة . ان بعض الكتاب العرب يدعو الى الكلمة النضالية التي تخلق فدائيا ، والبعض يدعو الى الكلمة الهادئة العاقلة ويرى انها مدخل الى الموضوعية ، وآخرون يدعون الكتاب الى تجاوز آثار النكسة والكتابة عن انسان المستقبل في صورته المشرقة الزاهية ، وهناك دعوات أخرى كثيرة ، وقد تظهر في المستقبل القريب دعوات جديدة . ولست رافضا أية دعوة ، ما دامت نابعة من اخلاص للقضية واسهام بناء في معالجتها . ان كل دعوة تصدر عن اتجاه فكري معين ، الا انها جميعا تنبع من ماعون النفس العربية التواقفة الى النصر والتقدم الحضاري ، ولا يمكن لعربي ان يرفض التقدم ، هدفنا الاسمي .

يرى الذين يدعون الى الكلمة النضالية القوية ان ظروف نضالنا تلح في الدعوة اليها الحاحا شديدا . ويرون أيضا ان الادب النضالي مطلوب وضروري سواء بلغ العمق الفني أم لم يبلغ ، فالكلمة النضالية شيء مجيد يستحق ان نفخر به . وفي تصوري ان هؤلاء الكتاب يطلبون من الادب ان يصنع ثورة ، وياليت هذا يكون ! .. فبودنا لو تشعل الثورة ضد الفاصب في كل مكان .

حقا ، ان الادب النضالي شيء مجيد وضروري . لكن ما المقصود بالادب النضالي ؟ . ان الادب فنونه عديدة ، ولكل فن مجال .. فلا يصح مثلا ان نكتب قصة نضالية بلا ابعاد ودون غوص في اعماق الشخصيات ودوافعها ، اننا بذلك نتردى في السطحية والسذاجة . وخطأ كبير ان تكون وطأة الاحساس بالواجب الوطني وحدها دافعا للكتابة ، بذلك نجني على الادب عموسا . فلا يصح ان نرتجل اية شخصيات روائية مثلا دون ان تنضج هوياتهم بعد في خيالنا ثم ندفعهم ليقولوا لنا : « اقتلوا اليهود ، حرروا الارض » . بهذا نجني على القصة وعلى الدراما ، ونجني على ادبنا العربي الذي نرجو له اصالة الابداع الفني . ولا يمكن ان يندفع اديب عربي الى الكتابة عن الكفاح المسلح احساسا منه بالقصور في هذا المجال ، وحرصا منه على تادية دوره في الحركة . واذا ما عولجت قضيتنا المقدسة بسطحية وسذاجة انسباقا مع الانفعال والتزاما بالواجب ، فقد اسانا الى انفسنا والى قضيتنا على المستوى الانساني . ولسنا بهذا ندعوالاديب العربي الى اهمال واجبه وقضيته المقدسة ، وانما نطلب منه التاني والنروي ، ثم الكتابة بدافع الاصالة الفنية اولا وقبل كل شيء . واذا

(٤) المصدر السابق - ص ٢٣ .

بعد مأساة ١٩٦٧ المروعة ، تبارى النقاد والادباء في الكتابة عن ماهية الادب النضالي . وارتأى البعض ان التخلف الفكري احد اسباب النكسة العسكرية . ونفر من هؤلاء الكتاب استحثت الادباء الى خلق « ادب نضالي » . ولست هنا في مجال عرض لآرائهم المختلفة والحسم فيها برأي ، فمن الصعب ان نحدد اتجاها ما كراي صائب ونخطيء بقية الاتجاهات او نفضلها . واذا كان الكتاب قد انطلقوا من ماعون واحد هو « الهزيمة » وشحنوا اقلامهم وخاضوا مجالات متباينة الرمي ، وان كانت واضحة الغاية محددة الاتجاه ، فكلها على السواء تنادي بضرورة وجود ادب نضالي ثوري يرتفع الى مستوى المعركة التي تخوضها امتنا ، وانها لضرورة حتمية واجبة .

ومن خلال قراءتي لكتاب عن الادب الصهيوني (١) وجدت ان هذا الادب يبني على دعوى عنصرية ويخدم المخططات الصهيونية . فهل يتوجب على اديب عربي ان يناهض الادب الصهيوني ويعمل على خلق ادب عربي عنصري ؟ . ان الاجابة على هذا السؤال جد خطيرة ، فمعنى مثل هذا الادب ان نجرف في تيار الدعاية الرخيصة ونشئنا حربا عنصرية في مجال الادب ، بينما الادب اسمى من ان نمسخره بهذه الصورة المشوهة . وليس المقصود من ذلك ان تصمت كل الاقلام عما يكتبه الصهاينة - وهذا هو واقعنا اليوم ! - فمعنى هذا اننا نهيه الفرصة كاملة للدعاية الصهيونية في ان تفرز سمومها في الادب الانساني ، وفي تثبيت اصالة فكرها وثقافتها . فتكون الطريق امام الادب الصهيوني مهيأة ومفتوحة ما دام خصمه العربي لا يقارعه بالحجة الدامغة ، ولا يبالي به ، ويفرق في صمته ازاء دعاويه وارجيفه . لست أقصد هذا ابدا ، او شيئا منه ، وانما اطلب بفتح النوافذ الادبية امام الادب الصهيوني العنصري ليتعرف العربي على عقل العدو وقلبه ، وأحسب ان مثل هذه المعرفة تكون هامة وضرورية لاننا بذلك ننفهم افكار العدو واحاسيسه ، كما اننا بذلك نهيه الفرصة لكتابنا للرد على الدعاوى الصهيونية ، ليس ردا نكتفي بنشره في صحفنا فحسب - فما هذا يجدينا - وانما ننشره خارج حدودنا وباللغة التي تتكلمها الشعوب الاخرى ، فمن السذاجة ان نسمع اصواتنا ونعجب بها ، بينما العالم غافل عنا لا يدري من امرنا سوى الصورة المسوخة التي يرسمها عنا ادباء صهيون والموالون للصهيونية .

كما ان الانفتاح على العالم الخارجي امر محمود ، والعمل على نشر آدابنا باللغات الاجنبية هو سبيلنا للتحرر من ربقة الاقليمية الادبية والخروج من قمقمنا الرهيب الى العالمنا الواسع الرحيب (٢) . وبعضد هذا الرأي الاستاذ عيسى الناعوري في مقاله « دور اديب العربي في الحركة » (٣) حيث أبرز ضرورة الكتابة للشعوب الاخرى بلغاتها وذلك لكسب الرأي العام العالمي عن طريق كسب ثقته بنا ، وبمساهمتنا في حضارة الانسان المعاصرة . ودلل على ذلك بما قالته شاعرة ايطالية لادباء الاردن : « من منكم كتب لي شيئا اعرف منه قضيته ؟ والناس

(١) غسان كنفاني : في الادب الصهيوني .

(٢) مجلة « الادب » - يونيو ١٩٦٨ - انظر مقال « متى يخرج

الادب العربي من القمقم » للكاتب .

(٣) مجلة « الادب » - أغسطس ١٩٦٩ - ص ٢٣ .

كان لا مفر من حفز الهمم واستشارة النخوة العربية الى القتال لفلعل القصيدة مجال رخيص وكذلك المقال الصحفي والحديث الازاعي او التليفزيوني ، وفي هذا المعنى يقول الامتداد سلمان حروفش : « واذا كان الاديبي لا يعرف كيف يخلق ، فليس له الا ان يبثنا عواطفه الانسانية المشكورة في مقالة سياسية ، او أي حديث وجدائي لاهب» (٥).

وقد حاول كاتب (٦) ان يدلل على عدم جدويتنا في النظر الى خطر اسرائيل ، وعدم تقدير هذا الخطر فاشار الى الروائي نجيب محفوظ كمثال لاديب لم تنعكس قضية فلسطين في أعماله بالرغم من انه يمثل ضمير العصر العربي الصادق . واذا كان الكاتب يريد ان يقول لنا اننا لم نتمثل قضية فلسطين في ضمائرنا فهذا حق ، ولكنه ليس كل الحق . واذا كنا ندين الادب لانه لم يتناول القضية بجديته واهتمام ، فلنا أيضا ان ندين السياسة العربية والاعلام العربي لانهما المسئولان المباشران عن القضية . ان الادب مسئول غير مباشر . ولا يستطيع الاديبي ان يكتب قصة او قصيدة او مسرحية لدفع قرائه الى خوض المعركة المقدسة وتحرير الارض المفتصبة . ان الادب عظيم التأثير في النفس البشرية ، لكنه ليس سريع الحركة ، ولا نطلب منه ان يتفعل انفعالا فوريا بما تحدثه الاحداث من صدى في نفسه، واكرر ثانية ان الثاني والثروي هما عماد كل فن اصيل . ولرب قصة فنية اصيلة تفضل عشرات القصص التي تدعو الى الجهاد دعوة مباشرة ، فتعيد القصة بذلك عن طريق الفن الانساني وتتيه في دروب ليست بذات صلة بالفن . اقول هذا مؤكدا على ما قلته سلفا من ان مجالات الابداع متعددة ، وان الادب ليس شيئا جامدا، وانما استوعبت فنونه كل شيء ، وبقي علينا ان نتعرف على القالب المناسب حين نريد ان نكتب . فالذي يناسب فرض الشعر لا يجدر بنا ان نثره كقصة مع ادراكنا التام لقواعد القصة واصولها ، والذي يجوز للمقال الصحفي المباشر لا ينبغي ان نجيزه لتمشيلية يتخطى ابطالها في عبارات انشائية دونما تركيز على الشخصية وتحدد للمصاحبة وسماتها .

وبخيل لي ان مساوئ النكسة قد انعكست على الادب العربي امتدادا للآخر الذي أحدثته نكبة ١٩٤٨ ، ذلك في الوقت الذي ننظر منها ان تكون بمثابة طاقة هائلة تحفز الى خلق ادب عربي انساني . ويرجع ذلك الى الهزة العنيفة التي أحدثتها النكسة ، فدخلت ساحة الادب أقلام كثيرة ظنا منها انها تلج الى ساحة المعركة ولوجا فضالا ، فكانت بعض الاقلام تظعن كطعنات الخناجر . واكتنظت ساحة الادب بكثيرين من اديبائه ، واذا وجه كاتب لهؤلاء اذانة ما ، صفوه بكلمات وطنية حادة ، واتهموه بالتقاعس وبانه ليس في مستوى نضالنا القومي .

حقا نحن في حاجة الى كل قلم شريف ، والى كل كلمة تستثير الهمم وتوقظ الفاقلين وتدين الخائفين ، لكننا لا نريد ان نجني بهذا على الادب ، وان يكون الدافع الوطني وحده مبررا لكي ترى النور كل الاعمال الابدبية بصرف النظر عما في بعضها من سطحية وسذاجة .

شيء آخر نعزو اليه تخلف أدبنا عن واجباته ومسئوليته ، وهو ايشار بعض الابدباء الصمت حتى لا يتورطوا في جدال او نقاش يؤدي الى اتهامات . واكاد اجزم بان الاديبي العربي اذا ما خشي الكتابة عن قضية فلسطين وسواها من قضايا المصيربة تلك الكتابة التي يرضى عنها ، فذلك ناتج عن احساس لديه بانها قضايا سياسية لا ينبغي ايقامها في الادب ، وفي هذا قصور واضح . كما أنه - أي الاديبي - قد اعتاد على الاخذ بالرأي السائد دونما محاولة مخلصنة لتجاوزه الى ما يراه من جانبه في تشخيص الداء ووصف الدواء، فذلك يتطلب شجاعة

(٥) مجلة « الآداب » - ديسمبر ١٩٦٨ - ص ٤٥ .

(٦) احمد محمد عطية - المصدر السابق - ص ٣١ .

نادرة ما زلنا كمرّب نفتقدّها ، وهذا امر مؤسف .

وأشهد أنني كقارئ كنت أصاب بالفئشان ازاء كتابات عربية اكتنظت بـ « الكليشيهات » مكرورة ومعروفة لدى الجميع في معالجة قضايا حيوية هامة ، دون محاولة مخلصنة في التحليل العلمي ، ودون معاناة فكرية . وواضح من هذا اننا نحمل السياسة اعباء كثيرة علاوة على تمزق أدبنا بين منعطفين : الاول هو الفوص في قضايا ميثافيزيقية قد لا تهم أحدا وقد لا يفهمها أحد ، والثاني هو تبعية الادب للسياسة يلهث وراءها ولا يتمهل ليقول لنا شيئا . ولعل مصدر هذا الصياح الاديبي شيء اسمه « الخوف » ، ارث الاستعمار الذي ما زلنا نرشف في اغلاله ، وهذا الخوف هو الذي دعا الاديبي غائب طعمة فرمان الى ان يقول : « المطلوب من اديب المعركة ان يتخلى عن هذه الطريقة ، وينظر الى مشكلات الانسان العربي بشجاعة ، ويعالجها بطريقة واقعية ، يترصدها ويتقصاها ، ولا يخاف من ذلك من سيف الجلال » (٧).

وهناك من الكتاب من يدعو الى الكلمة الهادئة العاقلة ، والالتزام بالموضوعية ، واتباع أسلوب التحليل العلمي في معالجة قضايانا الحيوية . وهي دعوة مستنيرة ينبغي ان نهتم بها ، وصحة هذه الدعوة تنبني على ما قاسيناه من انفعالاتنا المهزوزة وتهومياتنا الضبابية . وفي مجال الدعاية أيضا ، كنا نقيم الدنيا ونقعدها في داخل حدود وطننا توضيحنا لقضيتنا بينما لا نعمل شيئا ذا بال في الجانب الدعائي خارج الحدود . فما جدوى الطنطنة ؟ . هل فقدنا قدرتنا على الفهم حتى يلتبس علينا الامر فنظل نثرثر عن عدالة قضيتنا كيما تؤمن جماهيرنا بقضاياها . وكأنها ليست مؤمنة ؟! . واذا كنا لم نتيقن بعد من صحة قضايانا فكيف ندعو العالم الخارجي ان يتكاتف معنا ويشد من أزرنا ؟ . حقا نحن في حاجة الى الموضوعية والى الدقة العلمية والى النظرة التحليلية ، فهذا نتخطى انفعالاتنا ونتجاوز فراغنا الفكري وننتصر على قدرنا الذي اسهمنا نحن في صنعه ثم ارتضيها احكامه الجائرة !.

(٧) مجلة « الآداب » - نوفمبر ١٩٦٨ - ص ٤ .

هذا الشهر

اعناق الجياد النافرة

ديوان جديد

لصاحب « في شمسي دوار »

الشاعر الطليعي

فواز عيد

منشورات دار الآداب

في أي أرض يستقر السندباد
متى يعود ؟ فالربيع عاد
تحرسه سحابة من الرماد
نجومه ، تلاله ، أنهاره مداد
وفي حقوله يعسكر الكساد
والناس يسألون في الربيع
عن عودة الجوّاب

من مجاهل الصقيع
عن موسم الاعشاب
ويقرعون كل حائط
وكل باب

يعوون في الخريف كالذئاب
ويضرعون للسماء .
ان ترجع الكساء للأشجار والسماء
في موسم الجفاف ، والظماء
وكلما جاءت سحابة من البعيد
يهللون بالدعاء والنشيد
يباركون عودة الحياة من جديد
لكن ماردا يشدها بلا حنان
يقذفها مسافة تقاس بالزمان
فتشرئب بعد ذلك الرقاب والعيون
الى متاهات الخيال والظنون
بأن يوما ما تعود هذه السحابة
تمسح عن حقولهم ملامح الكتابة
تعيد للأعشاش كل قبره
وللفصون كل زهرة مبعثره

متى يعود السندباد

احمد الماخذي

السفارة اليمنية في أديس أبابا

الايام ، والا نتجاوزها اهمالا واستهتارا ، وانما نتجاوز احزانه ونتمسك
بسيبل النضال الشريف من أجل قضيتنا العادلة . فلا سبيل لنا
الا سبيل الفداء والتضحية ، ولا طريق الا الطريق المخضبة أرضها
بدماء شهدائنا ، ولن نرضي بغير ذلك بدبلا . وما أشرفه من طريق
وما أنبله من سبيل . ولن تصحوا أمتنا العربية من سبائنا وتستيقن من
كبوئنا الا بالفداء والتضحية ، فتشعب عن الطوق أمة عزيزة الجانب
موفورة الكرامة تبيّن معالم حضارتها ، ونسهم في التقدم الحضاري
وتشارك في ركب التطور العلمي .

واذا كنت أؤكد على أهمية الفداء والتضحية فلأنهما خلاصنا مما
نحن فيه من كبوّة وانسحاق . أما أدبنا النضالي فليعبّر عن واقعنا
دون التزام من جانب أحد أو ادانة أو اتهام ، بل يشترط على
الاديب أن يرتفع الى شجاعة رجال النضال ، وأن يكون صاحب قلم
شريف لا ينحني للزواجر ولا تكسر الاغصير وانما يزداد صلابة وقوة،
ويستند بجذوره في قلب تربيته العربية الخصيبة ، يأخذ منها طين
البلاء والهوم ويعطيها اشراقه الامل وبراعم خضراء قادرة على النماء
بمرور الايام . كما يطلب من الاديب العربي أن يعبر عن واقعنا المعاش
بدافع الاصالة الفنية . فبالاصالة الفنية وحدها يخلق الادب سواء
كان نضاليا او انساني بالمفهوم الم الكلمة . فإيا كان نوع هذا
الادب فهو لازم لنا وضروري لواقعنا المعاش .

ولعل السلاسل التي يصدرها مركز الابحاث التابع لمنظمة
التحرير الفلسطينية (أ) دليل خير وعلامة تمييز تبيّننا في اتجاهنا
الجديد نحو التفسير ، وذلك لان الدراسات التي تنشر في هذه السلاسل
تلتمز الموضوعية وتنحى الدقة وترصد مصادر العدو ووثائقه وتعمل
على تحليلها وفهمها ثم استخلاص النتائج ، وهذا كله جهد محمود
ويستحق منا التهنئة والتقدير . واعتقد أن هذه السلاسل تترجم الى
اللغات الاجنبية ، وانني لارجو أن تتسع دائرة الترجمة ، ومجال
التوزيع خارج حدودنا . كما أود أن تتولى إصدار هذه السلاسل هيئة
ادبية أخرى متفرغة ، حتى تكون منظمة التحرير خالصة للعمل
الفدائي وفيه من أعباء النضال ما يعرفه ويفهمه الجميع .

كما أن هناك دعوة الى تجاوز النكسة بأحزانها والامها والكتابة
عن انسان المستقبل في صورته المشرقة الزاهية . وهذه الدعوة لا يسلم
امرها بسهولة، فكيف نتصل من واقعنا الليم لتبني في الخيال
قصورا وهمية ؟ . ان المستقبل - ويجب أن ندرك هذا جيدا - لهو من
صنع يومنا . واذا كان يومنا من صنع أمسنا ، فإن غدنا يكون من
صنع يومنا . فحلقات التاريخ متماسكة ولا يمكن فصل حلقة عن
الأخرى . ان مستقبلنا هو صنعة حاضرنا ، فعلينا ان نهض بحاضرنا

(أ) من السلاسل التي يصدرها المركز : « ابحاث فلسطينية »
و« دراسات فلسطينية » و« كتب فلسطينية » ومجموعة من الخرائط
الفلسطينية وبعض النشرات الخاصة .

حسني سيد لبيب

القاهرة